التعريف برسالة

«الدرّة النضيدة في شرح الأبحاث المفيدة في تحصيل العقيدة» ومؤلّفها

د. إبراهيم نوئي

كلية الإلهيّات والأديان، جامعة بهشتي، طهران

noei@sbu.ac.ir

مسعود ملارضي

جامعة بهشتي، طهران

الملخص

تعدّ مدرسة الحلّة العلمية إحدى أهمّ المدارس في تاريخ الفكر الشيعي الإمامي، وقد تركت بصماتها على التراث إلى عصرنا الحاضر، ومن الصعب الإحاطة بجميع جوانب هذه المدرسة العظيمة؛ لكثرة علمائها وفضلائها الذين تخرّجوا منها ووفرة آثارهم. والمخطوطات المتبقية من تلك المدرسة تنبئ عن إرث عظيم وتاريخ عريق، ومن تلك المخطوطات الكلامية (رسالة الدرّة النضيدة في شرح الأبحاث المفيدة) للشيخ عزّ الدين أبي محمد حسن بن ناصر بن إبراهيم الحدّاد العاملي (من معاصري العلّامة الحلّي أو تلاميذه).

ويتناول هذا البحث التعريف بالرسالة ومؤلّفها.

الكلمات المفتاحية:

العلّامة الحلّي، الأبحاث المفيدة في تحصيل العقيدة، حسن بن ناصر بن إبراهيم الحدّاد العاملي.

Introducing the Treatise 'Al-Durrat al-Nadidah fi Sharh al-Abhath al-Mufidah fi Tahsil al-Aqeedah' and Its Author

Dr. Ibrahim Noui
Faculty of Theology and Religious Studies, Beheshti University, Tehra.
Masoud Mollardehi
Master's in Philosophy and Theology, Beheshti University, Tehran

Abstract

The scientific school of Al-Hilla is one of the most important schools in the history of Imami Shiite thought. It has left its mark on the heritage up to our present era. It is difficult to fully grasp all aspects of this great school due to the abundance of its scholars and graduates, as well as the richness of their works. The remaining manuscripts from this school indicate a rich legacy and a venerable history. Among these manuscripts is "Al-Durrat al-Nadidah fi Sharh al-Abhath al-Mufidah," authored by Sheikh Az-aldayn Abu Muhammad Hasan ibn Nasser ibn Ibrahim Al-Haddad Al-Amili, a contemporary of Al-Allamah Al-Hilli or his students. This research aims to introduce the treatise and its author.

Keywords:

Al-Allamah Al-Hilli, Al-Abhath al-Mufidah fi Tahsil al-Aqeedah, Hasan ibn Nasser ibn Ibrahim Al-Haddad Al-Amili..

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدِّمة

لِكَونِ رسالة الدرّة النضيدة شرحًا لرسالة الأبحاث المفيدة للعلّامة الحلّي ينبغي البحث أوّلًا عن المتن، ثمّ عن الشرح وشارحه.

١- التعريف بـ«الأبحاث المفيدة في تحصيل العقيدة»

أ.عنوان الرسالة ونسبتها

من الرسائل الكلامية الموجزة التّي ألّفها العلامة جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطّهر الحلّي (٦٤٨- ٧٢٦ الهجرية) والتي لا تتوافر مخطوطاتها، رسالة نسبها العلّامة إلى نفسه في «خلاصة الأقوال» [١] وسمّاها بـ«الأبحاث المفيدة في تحصيل العقيدة» وفي إجازته للسيد مهنّأ بن سنان الحسيني المدني سمّاها بـ«الأبحاث المفيدة في تحقيق العقيدة».٢ والتسمية الأولى أقرب؛ لأنَّ هذه الرسالة لم تنطوِ على جانب تحقيقي عميق؛ فإنّ العلامة لم يقم فيها باستعراض الأقوال الكلامية المختلفة وآراء الفرق والمذاهب المتنوعّة و لم يقم بدراستها و نقدها بنحو تفصيلي ليخلص في النهاية إلى رأيه المختار؛ لذا يعدّ عنوان «الأبحاث المفيدة في تحصيل العقيدة» مُتَّفقًا إلى حدٍّ بعيدٍ مع محتوى الرسالة، زِدْ على ذلك تسمية الرسالة في النسخ المتبقية منها ومن شرحها بـ«الأبحاث المفيدة في تحصيل العقيدة».

ب. ما تضمّنته الرسالةُ

اشتملت هذه الرسالة – كغيرها من المؤلّفات الكلامية الكاملة للعلّامة الحلّي- على جميع الأبواب الكلامية ذُكر في معظمها أشهر أقوال المخالفين و نقدها، كما قام بذكر رأيه الّذي عبّر عنه تارة بـ: «القول الحقّ» وأخرى بـ: «قول المحقّقين».

ثمَّ إنَّ لهذه الرسالة ثمانية فصول، ينتظم تحتها تسعة وستّون مبحثًا، ويمكن

تقسيم هذه الفصول إلى قسمين رئيسين، كما هو الحال في كتاب «تجريد الاعتقاد» للخواجة نصيرالدين الطوسي.

أمّا القسم الأوّل: فقد خصّص للبحث عن الإلهيات بالمعني الأعمّ والمواضيع العامّة المرتبطة بالوجود، من قبيل الوجود والعدم والجواهر والأعراض، ويشتمل هذا القسم على ثلاثة فصول: في الأمور العامة وفي الجواهر وأحكامها وفصل في الأعراض وأحكامها، وكلّ واحد من الأولين يشتمل على سبعة مباحث والأخير يشتمل على عشرين مبحثًا.

والقسم الثاني: في مباحث الإلهيات بالمعني الأخصّ، وهو يشتمل على خمسة فصول، مُكمِّلًا للفصول الثلاثة السابقة المذكورة في القسم الأوّل ولذلك سوف يبدأ هذا القسم بالفصل الرابع الذي دوّن في إثبات واجب الوجود ويحتوي على ستة عشر مبحثًا، والخامس من الفصول يدور حول العدل الإلهي، مشتملًا على سبعة مباحث، والفصول الثلاثة الأخيرة للكتاب تبحث عن النبوة والإمامة والمعاد ويشتمل كلّ واحد منها على أربعة مباحث.

ج. منهج العلّامة في الرسالة

ليست الرسالة من الحجم الكبير، فهي رسالة مختصرة وقد ذكر العلّامة في آخرها كلامًا يتوّهم منه أنّ ما كتبه تحت عنوان «الأبحاث المفيدة في تحصيل العقيدة» إنّما هو مقدّمة لكتاب أكثر تفصيلًا، فقد قال: «وليكن هذا آخر ما أردنا ذكره في هذه المقدمة» وهو ما يؤكد منهجية الاختصار في تأليف الرسالة. لكن لا يمكن الاعتماد على ذلك؛ فإنّ العلامة قد ذكر أمثال هذا التعبير في العديد من مصنّفاته الكلامية التّي من تأليفها دون أن تكون مقدّمة لكتاب آخر، و من جملة ذلك: ما جاء في نهاية كتابه «معارج الفهم في شرح النظم»، إذ قال: «فهذا آخر ما أوردناه في هذه المقدّمة».[٣] وجاء في نهاية كتابه الآخر «منهاج الكرامة في معرفة

الإمامة» : «فهذا آخر ما أردنا إثباته في هذه المقدّمة».[٤] وبذلك يبدو أنّ مقصود العلّامة من «المقدّمة» إنّما هو الاختصار والاختزال؛ باعتبار أنّه قد ذكر في هذه الرسالة جملة من الأبحاث الكلامية على سبيل الاختصار، ولم تكن الرسالة مقدّمة لمصنّفٍ أو لكتابٍ آخر.

د) طبعات الرسالة ومخطوطاتها

طبعت هذه الرسالة مرّتين:

الأولى: بتحقيق الشيخ يعقوب الجعفري، ونُشرتْ في العدد الثالث من السنة الأولى من مجلة «كلام إسلامي»، ١٤١٣هـ، ومن المؤسّف أنّ المحقّق لم يحدّد في المقدمة النسخة أو النسخ التي اعتمدها في تحقيق الرسالة، فمقدمة تحقيقه خالية من أي إشارة إلى وجود اختلاف بين النسخ، ويبدو أنّه اعتمد على نسخة مكتبة مجلس الشورى برقم ٧٤١٣ فقط.

الثانية: ضمن كتاب «عقيدة الشيعة» ٢/ ٦١٥-٦٥٠، بإعداد الشيخ محمدرضا الأنصاري من منشورات دار التفسير في قم وهي طبعة غير مؤرخة، وقد اعتمد في هذه الطبعة على نسخة المجلس أيضًا، ليس غير.

وكلتا الطبعتين تشتملان على أخطاء كثيرة في ضبط النصّ وتخريجه.

ثمّ بقيت لنا اليوم من الرسالة مخطوطات:

الأولى: مخطوط بمكتبة آية الله السيد الحكيم ﵀ العامّة في النجف الأشرف في ضمن مجموعة برقم: ٥٩٩. استنسخت في شهر رمضان سنة ١٣٣٥هـ بخطّ العلّامة الأديب الشيخ محمد بن الطاهر السماوي.

الثانية: مخطوط في مكتبة مجلس الشورى بطهران ضمن مجموعة برقم: ٧٤١٣. لم يرد فيها اسم الناسخ ولا تاريخ كتابة النسخة ولكن يحتمل أن تكون من مخطوطات القرن الثالث عشر أو الرابع عشر الهجريين.

الثالثة: مخطوط في المكتبة الوطنية بطهران ضمن مجموعة برقم ١٩٤٦، استنسخها محمد جواد بن كلبعلي بن جواد الكاظمي في سنة ١٠٩٠ الهجرية.

٢- التعريف بـ«الدرّة النضيدة في شرح الأبحاث المفيدة»

كما يبدو من عنوان الكتاب هو شرح على رسالة «الأبحاث المفيدة في تحصيل العقيدة»، والشارح هو عزّ الملّة والدين الشيخ أبومحمّد حسن بن ناصر بن إبراهيم الحدّاد العاملي، وقد ذكر تاريخ ومدّة تأليف هذا الشرح بقوله: «ابتدأتُ في تصنيفه في الثامن عشر من شعبان وفرغت في الرابع عشر من رمضان، فكان مجموع المدّة ستّة وعشرين يومًا وذلك في الحلّة مجاور مقام صاحب الزمان، على ساكنه أفضل الصلاة والسلام».

ووفقًا لهذه العبارة فقد استغرق تأليف هذا الشرح مدّة ٢٦ يومًا في الحلّة الفيحاء في جوار مقام صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف وهو يدلُّ على كمال فضل الشارح، فإنّه لا يتسنَّى لكلّ أحد أن يكتب كتابًا كاملًا في علم الكلام في هذه الفترة الوجيزة[٥].

أ. مصادر الشرح

من خلال تتبّع الأقوال التي ينسبها الشارح في شرحه إلى الآخرين يتبين أنّها في الغالب مأخوذة من «المباحث المشرقية» للفخر الرازي و«تلخيص المحصّل» للخواجة نصيرالدين الطوسي ومن بعض كتب العلامة التي من جملتها «مناهج اليقين في أُصول الدين» و«أنوار الملكوت في شرح الياقوت» و«منتهى الوصول».

وذكر الشارح أيضًا كتابًا من كتب العلامة تحت عنوان «التلميح»، ولكنّا لم نجد كتابًا بهذا العنوان في مصنّفات العلّامة ولا في «خلاصة الأقوال» ولا في إجازته للسيد مهنّأ ولا في غيرها.

ويتطرّق الشارح عادةً إلى تقوية المختار من العلّامة وذلك بعد بيان مختلف الآراء الكلامية المشهورة وبطبيعة الحال فإنّه تارةً يصرّح بمخالفته أيضًا لآراء

العلّامة، بقوله: «وفيه نظر»، ويرجّح رأي متكلّمين آخرين أمثال الشريف المرتضى، كما في المبحث السادس في الآلام.

وقد لعن الشارح الفلاسفة في ابتداء الفصل الرابع الذي يدور بحثه حول حدوث أو قدم العالم من بينهم ابن سينا والفارابي، وإن كان قد ذكر في مواضع من شرحه هذا آراء الفلاسفة ومن ضمنهم ابن سينا، وهو جدير بالتأمّل.

ب. التعريف بمخطوطات الشرح

قد بقيت لنا اليوم نسختان من الشرح:

الأولى: النسخة المحفوظة في مكتبة الروضة الرضوية، على مشرّفها آلاف التحية والثناء برقم: ١٣.

وهي نسخة قديمة نفيسة، يرجع تاريخها إلى القرن التاسع وقد كتب على ظهرها: «كتاب الدرّة النضيدة في شرح الأبحاث المفيدة، تصنيف الشيخ الإمام الفاضل الكامل، أُنموذج السلف، بقية الخلف، عين أعيان الزمان، عزّ الملّة والدين، أبو محمد حسن بن ناصر الدين إبراهيم الحدّاد العاملي، قدّس الله روحه، ونوّر ضريحه بمحمّد وآله الأطهار».

وكتبت تحته عبارة نقلًا عن الشارح: «صورة ما كتب المصنّف على نسخته: ابتدأتُ في تصنيفه ثامن عشر من شعبان وفرغتُ في رابع عشر من رمضان، فكان مجموع المدّة ستة وعشرين يومًا وذلك في الحلّة مجاور مقام صاحب الزمان، على ساكنه أفضل الصلاة والسلام».

وعليها ختم وقفية الشيخ أسد الله ابن الشيخ محمّد مؤمن الخاتوني على الخزانة الرضوية المقدّسة.

الثانية: النسخة المحفوظة بمكتبة ملك في طهران، برقم: ٢/ ٢٦٤١

تمّ استنساخها في سنة ١٢٧٦ هـ، وقد استنسخت من النسخة السابقة وهي

ناقصة في الآخير، ولكن يبدو أنّ الناسخ عثر على نسخة أخرى فأتمّ نقص الكتاب، إذ قال قبل تتمّة الشرح: «إلى هنا كان المتن المتين مع بعض الشرح، ومن هنا سقطت الأوراق وضاعت. الحمد لله الّذي وفّقني بلطفه العميم، وفضله العظيم، لكتابة هذه النسخة الشريفة، في المشهد المقدّس الطوسي، على مشرّفه آلاف التحية والسلام، حين كنت مجاورًا فيه مع أهلي وعيالي وولدي سمّي ذبيح الله، وفّقه الله تَعَالَى لمراضيه، والعلم والفقاهة والبراعة، وبلّغه إلى العمر الطبيعي، مع السعادة الدينية والدنيوية، بحقّ سيدنا محمّد وآله المعصومين، آمين يا ربّ العالمين».

ثمّ كتب في نهاية المخطوطة: «تمّ ما أردنا استنساخه من النسخة الموقوفة العتيقة في المشهد، على مشرّفه آلاف السلام والتحية، [عند] مجاورتي فيه مع الأهل والعيال في سنة ١٢٧٦ هـ».

٣-ترجمة الشارح

أ. اسمه ونسبه

هو «عزّ الملّة والدين الشيخ أبو محمّد حسن بن ناصر بن إبراهيم الحدّاد العاملي». هذا هو الضبط الصحيح لاسم الشارح ونسبه، وذلك بعد الرجوع إلى جملة من كتاباته وإنهاءاته المتبقية، فقد كتب الشارح إنهاءً علي نسخة من كتاب قواعد الأحكام للعلّامة الحلّي، ذكر فيه اسمه بعنوان: «حسن بن ناصر بن إبراهيم العاملي».

وكتب أيضًا إنهاءً آخر على نسخة من كتاب شرائع الإسلام للمحقّق الحلّي، كتب فيه اسمه بهذه الصورة: «حسن بن ناصر بن إبراهيم الحدّاد العاملي».

وكتب إنهاءً ثالثًا ذكر اسمه فيها هكذا: «حسن ابن الحدّاد العاملي».

والشارح كما عرفت ينحدر من أصول عاملية وليست لدينا أية معلومات عن نشأته ونسبته أكثر من ذلك وأنّه قد قدم الحلَّة الفيحاء، وزاول فيها نشاطًا علميًّا، حتَّى عُدَّ من أعلامها.

ب. خطأ المصادر في ترجمة الشارح

وقعت المصادر في أخطاء عديدة في ترجمة الشارح، وهنا تفصيل ذلك.

الأوّل: أورد نسبه السيد الأمين في أعيان الشيعة وذكر اسم أبيه: «ناصر الدين إبراهيم»، وقد علمت أنّ الصواب في اسم أبيه هو «ناصر بن إبراهيم»، كما كتبه الشارح بخطّه.

والظاهر أنّ العلامة الأمين رجع في ضبط اسمه إلى ما ورد على ظهر إحدى نسختي الشرح المتبقية، وهي نسخة المكتبة الرضوية، فقد ورد اسمه فيها: «عزّ الملّة والدين أبو محمد حسن بن ناصر الدين إبراهيم الحدّاد العاملي»، إذ وقف السيد محسن الأمين على هذه النسخة وشاهدها في المكتبة الرضوية [٦].

الثاني: احتملَ السيدُ عبدالله شرف الدين ﵀ احتمالًا قويًّا أن يكون «الشيخ عزّ الدين أبو محمّد الحسن بن ناصر بن إبراهيم الحدّاد العاملي» هو نفسه «الشيخ محمد حسن [٧] بن ناصر الدين إبراهيم الحدّاد العاملي» مؤلّف «الدرّة النضيدة في شرح الأبحاث المفيدة» [٨]، وأنَّ الاختلاف وقع في اسم الأب، حيث جاء في موضع «ناصر بن إبراهيم» وفي آخر «ناصر الدين إبراهيم»، و هو ناجم من اشتباه النسّاخ. وهو صحيح، كما تقدّم.

الثالث: ذكر العلّامة الكبير الشيخ آقا بزرك الطهراني رحمه الله هذا الكتاب ومصنّفه قائلًا: «شرح الأبحاث المفيدة في تحصيل العقيدة، الذي هو من تأليف آية الله العلّامة الحلّي في الكلام، للشيخ ناصر بن إبراهيم البويهي الأحسائي العاملي، المتوفّى بالطاعون في سنة ٨٥٣هـ، ويوجد في مكتبة الإمام الرضا عليه السلام في خراسان، أوّله: الحمد لله القادر العزيز الجبّار المتكبّر المتجبّر الحليم» [٩].

والظاهر أنّ العلّامة الطهراني خلط بين الشارح وبين سَمِيِّهِ الشيخ ناصر بن إبراهيم البويهي الأحسائي المتوفّى سنة ٨٥٣ هـ بالطاعون، تبعًا للمصدر الذي

هو فهرس مخطوطات مكتبة الروضة الرضوية المقدّسة على مشرّفها آلاف السلام والتحية،: «الشيخ ناصر بن إبراهيم أحسائي عاملي»، وأنّه توفّي سنة ٨٥٣هـ [١٠].

ولذلك فقد ذكره العلّامة الطهراني باسمه الصحيح في موضع آخر في قوله: «طريق النجاة، للشيخ عزّ الدين أبي محمّد الحسن بن ناصر بن إبراهيم بن الحدّاد العاملي، أكثر الشيخ الكفعمي النقل عنه في تأليفاته وعدّه من مآخذ البلد الأمين»[١١].

الرابع: وأغرب من ذلك ما جاء في بعض المصادر، إذْ ورد اسمه بعنوان: «ناصر بن إبراهيم بن بياع (صبّاغ) البويهي الأحسائي العاملي». [١٢] ولانعرف منشأ هذا الخطأ، وهو سهوٌ بلا شك.

الخامس: وأغرب منه جدًّا ما ذكره بعض الباحثين بعنوان: «نصير بن إبراهيم الأشعري»، ولو قلنا بتحريف «ناصر» إلى «نصير»، فكيف نفسّر تصحيف «الأحسائي» إلى «الأشعري»؟! [١٣]

ج. تمييزه عن الآخرين

والجدير بالذكر أنّه لا ينبغي الخلط بين الشيخ حسن بن ناصر ابن الحدّاد العاملي مع معاصره الشيخ ابن الحدّاد الحلّي، فإنّ الأخير هو الشيخ جمال الدين أحمد بن محمّد بن محمّد بن الحدّاد الحلي [١٤].

ومن جهة أخرى، هناك شخص آخر يشترك معه في الاسم واسم الأب، وهو الشيخ ناصر بن إبراهيم البويهي الأحسائي العيناثي العاملي. [١٥] ولكنّه قد توفّي سنة ٨٥٢، [١٦] فلايمكن أن يكون أبًا للشارح المتقدّم عليه بما يقارب مئة عام، وقد وقع بعضهم في هذا الخطأ، كما في فهرس مكتبة الروضة الرضوية المقدسة، على مشرّفها السلام والتحية. [١٧]

وقد يتوهّم أيضًا كون الشيخ عزّ الدين الحسن مع الشيخ عزّ الدين العاملي صاحب الحواشي على ألفية الشهيد شخصًا واحدًا، ولكنّ المحشي هو عزّ الدّين

الحسين، وأمّا ضبطُهُ بالحسن فمن غلط الناسخ [١٨].

د. عصره

ذكر العلّامة الشيخ آقا بزرك الطهراني أنّ عزّ الدين كان من معاصري العلّامة الحلّي أو من تلاميذه[١٩]، وسوف يأتي أنّ من نشاطات الشارح العلمية المتبقية هي الإنهاءات الموجودة بخطّه، وهي في سنين مختلفة، فواحدة كتبت سنة ٧٢٥ هـ، وأخرى سنة ٧٣٠هـ، وثالثة سنة ٧٣٩هـ.

وهذا يعني أنّ آخر ما نعرفه من أحوال الشارح أنّه كان حيًّا في سنة ٧٣٩هـ في أقلّ تقدير، ومن المعلوم كون الشارح قد قطن الحلّة الفيحاء، وكان من أعلامها، إذْ قام بتدريس جملة من مصنّفات العلّامة الحلّي، وخاله المحقّق الحلّي، في الحلّة الفيحاء على أغلب الظنّ، كما قام بتأليف كتابه هذا (أي الدرّة النضيدة) في المدرسة الزينية المباركة، والتي كانت محطّ العلماء وتعلّق الأفئدة، وتشرّفت بجوار مقام الإمام صاحب العصر و الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، فقد جاء على ظهر النسخة الرضوية للكتاب التي تقدّمت الإشارة إليها.

هـ. مشايخه

لم يذكر ابن الحدّاد العاملي عن مشايخه وأساتذته أيّ شيء في مصنّفاته الواصلة، ولاسيَّما كتابه هذا، ولكن يحتمل كونه من تلامذة العلّامة الحلّي، إذْ قام بتدريس كتابه قواعد الأحكام في حياته، ولا يخفى على المطّلع الخبير أنّ كثيرًا من تلامذة العلّامة الحلّي قاموا بتدريس وشرح كتب العلامة الحلّي في حياته وبعد مماته، ممّا كان له تأثير بارزٌ وبصمات واضحة في التراث.

وممّا يقوّي هذا الاحتمال أيضًا أنّه قام بتأليف شرح على رسالة الأبحاث المفيدة للعلّامة الحلّي، وهو الوحيد الّذي شرح هذه الرسالة من بين أعلام الحلّة على ما وصل إلينا من التراث.

و. تلامذته

لم نطّلع على أحوال تلامذة ابن الحدّاد العاملي وأسمائهم، إلّا أنّه بالإمكان أن نعدّ من تلامذته اثنين:

الأوّل: كاتب نسخة (شرائع الإسلام) المتقدمة، وقد كتب له الشارح إنهاءً في آخرها، وهو محمّد بن الحسن بن محمّد الغزنوي، وقد انتهى من استنساخ الكتاب في التاسع من شهر صفر سنة ٧٣٨، فقد جاء في نهاية الجزء الأوّل من النسخة: «تمّ الجزء الأوّل من كتاب شرائع الإسلام في مسائل الحلال و الحرام،؛ والحمد لله ربّ العالمين، وصلاته على سيدنا ومولانا محمّد وآله الطاهربن، يتلوه الجزء الثاني كتاب النكاح، وكتبه الفقير إلى الله الغني محمّد بن حسن بن محمّد الغزنوي، في تاسع صفر خُتم بالخير والظفر، من سنة ثمان وثلاثين وسبعمئة هجرية، والمنّة لله سبحانه».

الثاني: ومن تلامذته بعض تلامذته الأجلّاء من أعلام حوزة الحلّة الفيحاء، وقد كتب له الشارح كتابه هذا الّذي بين يديك، وممّا يؤسّف له أنّ الشارح لم ينصّ على اسمه، بل اكتفى بذكره بقوله: «فقد سألني بعض أصحابي، الكريم لدي، والواجب الحقّ علي، المفتخر بأعظم جرثومة، والمنتسب إلى أكرم أُرومة، إملاءَ شرحٍ على الأبحاث المفيدة في تحصيل العقيدة...».

ز. منزلته العلمية وما قيل فيه

يمكننا التقاط جملة من الشواهد على مكانة الشارح العلمية السامية، وأنّه كان من كبار أعلام الطائفة في عصره، وهي على النحو الآتي:

الأوّل: ما ورد في بداية نسخة الروضة الرضوية المقدسّة، والتي وقفها الشيخ أسد الله بن محمّد مؤمن الخاتون آبادي العاملي المشهدي على تلك الروضة المشرّفة،[٢٠]، إذْ ورد التعبير عنه بـ: «الشيخ الإمام الكامل، أُنموذج السلف، بقية الخلف، عين أعيان الزمان، عزّ الملّة والدين أبومحمد حسن بن ناصرالدين إبراهيم الحدّاد العاملي قدّس سرّه».

الثاني: ذكر الشارح في أوّل كتابه هذه العبارة يدلّ بنحو على جلالته العلمية، إذ قال: «فقد سألني بعض أصحابي، الكريم لدي، والواجب الحقّ علي، المفتخر بأعظم جرثومة، والمنتسب إلى أكرم أُرومة، إملاء شرح على الأبحاث المفيدة في تحصيل العقيدة...».

ممّا يدلُّ هذا على أنّه كان قد بلغ رتبة عالية من العلم، وكان له أصحاب وتلاميذ، وقد كتب هذا الشرح استجابة لطلبهم، ولعلّه كان ذا منبر للتدريس في المدرسة الزينية بالحلّة، كما يدلّ ذلك على أنّه كان مرجعًا في تدريس وشرح المصنّفات الكلامية، بحيث يطلب منه شرح مصنّف كلامي للعلّامة الحلّي.

الثالث: أهمُّ من جميع ذلك ما وصلتنا من إنهاءاته ونشاطاته العلمية، ونستفيد من تاريخ إنهائه على كتاب (قواعد الأحكام)، وهو سنة ٧٢٥ هـ، أي قبل سنة من وفاة العلّامة الحلّي، إذ ازداد في ذلك الوقت وفود العلماء إلى الحلّة، وتلمّذهم على يد العلّامة، كما حضر بينهم ابنه فخر المحقّقين، وكلّ هذا يعني أنّ صاحب الإنهاء- وهو حسن بن ناصر بن إبراهيم الحدّاد العاملي- كانت له منزلة علمية تؤهّله ليكون مرجعًا للطلّاب، ولمن يريد الوقوف على آراء العلّامة الحلّي.

الرابع: ذكر الشارح تاريخ ومدّة تأليف هذا الكتاب بقوله: «وابتدأت في تصنيفه ثامن عشر من شعبان، وفرغتُ في رابع عشر من رمضان، فكان مجموع المدّة ستّة و عشرون[كذا] يومًا، وذلك في الحلّة مجاور مقام صاحب الزمان، على ساكنه أفضل الصلاة والسلام»، ممَّا يعني أنَّهُ على مستوًى رفيع من التبحُّرِ في علم الكلام، وكان متسلّطًا عليه، إذ قام بتأليف هذا الكتاب في غضون أيام.

الخامس: يتبين من كتابه هذا أنّه كان صاحب مبانٍ وآراء في علم الكلام، وإن كان في الأعمّ الأغلب يسلك منهج مدرسة الحلّة الكلامية، كما كان فقيهًا كبيرًا تُقرأ عليه المصنّفات الفقهية المهمّة، ككتاب قواعد الأحكام الذي عرف بصعوبة متنه.

ح. تأليفاته و مصنّفاته

الأوّل: «**الدرّة النضيدة في شرح الأبحاث المفيدة**» وهي هذه الرسالة.

الثاني: «**تهذيب الطريق إلى علم التحقيق**»: أحال إليه الشارح في «الدرّة النضيدة» في ابتداء شرح الفصل الثاني الذي هو في بحث الجواهر. وعلى هذا الأساس يظهر أنَّهُ كتابٌ في علم الكلام.

الثالث: «**طريق النجاة**»: يبدو أنّ هذا الكتاب مفقود، إذ لم تصل إلينا نسخة منه، وقد ذكره المحقّق الأفندي وأشار إلى أنّ الكفعمي ينقل كثيرًا عنه في «البلد الأمين» وحواشيه، وفي «المصباح» أي: جُنّة الأمان الواقية [٢١]، وقد أشار الكفعمي إلى «طريق النجاة» في مواضع من كتابه «جنّة الأمان الواقية» ولكنّه لم يصرّح باسم مصنّفه، وأنّه ابن الحدّاد العاملي.[٢٢]

وأمّا «البلد الأمين» المطبوع فلم نعثر فيه على ذكرٍ لكتاب طريق النجاة، ولكن نقل العلامة المجلسي عنه قائلًا: «البلد الأمين: من كتاب طريق النجاة لابن الحدّاد العاملي». [٢٣]

وقال في موضع آخر نقلًا عن البلد الأمين: «وذكر الشيخ عزّ الدين الحسن بن ناصر الحدّاد العاملي في كتابه طريق النجاة»[٢٤].

كما نقل مقطعًا آخر من طريق النجاة عن بعض كتب الكفعمي، وقال: «قال الكفعمي في بعض كتب أدعيته: ذكر الشيخ عزّ الدين الحسن بن ناصر بن إبراهيم الحدّاد العاملي في كتابه طريق النجاة»[٢٥].

وهذا يعني أنّ نسخة الكتاب هذا وصلت إلى الكفعمي، ولم تصل إلى العلّامة المجلسي، كما لم تصلنا مع شديد الأسف. وبناءً على ذلك، فقد ذكره العلّامة الطهراني في الذريعة، بقوله «طريق النجاة، للشيخ عزّ الدين أبي محمد الحسن بن ناصر بن إبراهيم بن الحدّاد العاملي، أكثر الشيخ الكفعمي النقل عنه في تأليفاته، وعدّه من مآخذ البلد الأمين»[٢٦].

هـذا وقـد عثرنـا عـلى نسـخة في مكتبة جامعـة طهران مـن رسـالة ذكرت في الفهـرس بعنوان«فضيلة سـورة القدر» وهي في ضمن مجموعـة برقم: ٢٤٧٩ من مخطوطات القرن الثاني عشر، ونسبت إلى ابن الحدّاد العاملي هذا، وهي منقولة من كتاب طريق النجاة لعزّ الدين الحسن ابن الحدّاد العاملي، كما ورد في بدايتها، وبعد مراجعة المخطوطة وملاحظة الرسـالة ونصّها تبين أنّه منقول بعينه من كتاب البلد الأمين.

٤- إنهاءاته

لقد سـلمت من عوادي الزمان بعض المخطوطات الموشّحة بإنهاءات الشارح بخطّه، وقد وقفنا حتّى الآن على ثلاثة إنهاءات للشيخ ابن الحدّاد العاملي.

الإنهاء الأوّل:

كتب إنهاءً على نسخة نفيسة وعتيقة من كتاب (قواعد الأحكام) للعلّامة الحلّيّ، وممَّا يُؤسَـف له أنَّ الشـارحَ لم يذكر اسـمَ تلميذه الـذي قرأَ عليه النسـخةَ، وكتبَ له الإنهاءَ، كما أنّ النسـخة لم يرد فيها اسـم الناسـخ، حتّى نحتمل أن يكون هو من قرأ النسخة، وتاريخ الإنهاء الخامس من شهر جُمادَى الآخرة سنة ٧٢٥هـ، أي قبل وفاة العلّامة الحلّي بسنة، ونصُّ الإنهاء كما يلي: «أنهاه – أيده الله تعالى وأبقاه– قراءة وبحثًا واستشراحًا وحفظًا وضبطًا لما وصل من معانيه، نفعه الله تعالى وإيانا بذلك، بمحمّد وآلـه الطاهريـن؛ وذلـك في عدّة مجالـس، آخرُها خامـس جُمادَى الآخر سـنة خمس وعشرين وسبع مئة. كتبه العبد الضعيف المحتاج إلى رحمة الله تَعَالَى وغفرانه، حسن بن ناصر بن إبراهيم العاملي، حامدًا لله، مُصليًّا ومستغفرًا، والحمد لله ربّ العالمين».

وممّـا يزيد في نفاسـة هذه النسـخة أنّها تشـتمل عـلى بلاغات كثـيرة بخطِّ ابن الحـدَّاد، وغـيره من العلماء، وأنّهـا كتبت في حيـاة العلّامة الحّـلي، وعليها جملة من التملّكات والفوائد والمذكَّرات والتواريخ لجملة من العلماء.

تحتفظ بهذه النسخة مكتبة جامعة طهران برقم: ٧٠٥ [٢٧] .

الإنهاء الثاني:

وكتب إنهاءً آخر على نسخة قديمة من كتاب (شرائع الإسلام) للمحقّق الحلّي، وهي نسخة نفيسة وعتيقة جدًّا، كانت ناقصة الطرفين، فأتمّت بخطّ حديث، تشتمل على حواشٍ وبلاغات كثيرة، ونظرًا لنقصان النسخة من الأخير، وإكمالها بخطّ حديث في قرونٍ لاحقة، فقد ذهب اسم الناسخ، كما لم يصرّح الشارح باسم تلميذه أيضًا، وتاريخ الإنهاء في الرابع من شهر شوّال سنة ٧٣٠هـ، ونصّ الإنهاء كما يلي: «أنهاه – أيده الله تَعَالَى وأبقاه– قراءة وبحثًا، وشرحًا واستشراحًا، وفهمًا وضبطًا لمسائله، نفعه الله تَعَالَى وإيانا بذلك، بمحمّد وآله الطاهرين؛ وذلك في عدّة مجالس، آخرها رابع شوّال المبارك سنة ثلاثين و سبع مئة». وكتب العبد الفقير إلى الله تَعَالَى حسن بن ناصر بن إبراهيم الحدّاد العاملي، حامدًا لله تعالى، ومُصَلِّيًا على رسوله وآله، ومستغفرًا ومسلّمًا».

تحتفظ بهذه النسخة مكتبة جامعة الرياض، برقم: ٣٠١٧.[٢٨].

الإنهاء الثالث:

كتب إنهاءً ثالثًا على نهاية الجزء الأوّل من نسخة أخرى لكتاب (شرائع الإسلام)، ولم يذكر الشارح أيضًا تلميذه في الإنهاء، إلّا أنّه قد استنسخ هذه النسخة محمّد بن حسن بن محمّد الغزنوي وفرغ من استنساخه في تاسع شهر صفر من سنة ٧٣٨هـ، أي قبل الإنهاء بسنة واحدة، فيحتمل قويًّا أن يكون هو من كتب له الإنهاء، كما تشتمل النسخة على علامات بلاغ كثيرة ممّا يزيد في قيمتها وأهميتها، وكان تاريخ الإنهاء ٢١ محرّم سنة ٧٣٩، ونصّه كما يلي:«أنهاه- أيده الله تَعَالَى وأبقاه- قراءة وبحثًا، و شرحًا واستشراحًا، وفهمًا و ضبطًا لمسائله، نفعه الله تَعَالَى وإيانا بذلك، بمحمّد وآله الطاهرين؛ وذلك في عدّة مجالس، آخرها الحادي والعشرون من المحرّم الحرام من شهور سنة تسع وثلاثين وسبعمئة. كتبه أضعف العباد حسن بن الحدّاد العاملي، حامدًا لله تعالى، ومصليًّا على رسوله وآله، ومستغفرًا ومسلّمًا كثيرًا، والحمد لله ربّ العالمين». تحتفظ بهذه النسخة مكتبة آية الله السيد المرعشي النجفي، بقم المقدسة، برقم ٧٤٦٣. [٢٩]

وقف كتابخانه عمومى حضرت آية الله العظمى
مرعشى نجفى قم - ايران

٥-نتيجة البحث

إنّ تحقيقنا حول رسالة الدرّة النضيدة في شرح الأبحاث المفيدة للشيخ عزّ الدين حسن بن ناصر بن إبراهيم الحدّاد العاملي (من معاصري العلّامة الحلّي أو تلاميذه) يفيدنا أُمورًا:

- إقبال طلّاب العلوم على رسالة الأبحاث المفيدة لتحصيل العقيدة حتّى طلبوا من الشيخ عزّ الدين إملاء شرح عليها.
- كان للعلّامة الحلّي رسالة موسومة بـ«التلميح» عثر الشارح عليها ولكنَّنا لم نجد كتابًا بهذا العنوان في مصنّفات العلّامة، لا في «خلاصة الأقوال» ولا في إجازته للسيد مهنّأ ولا في غيرها.
- عرّف الشارح رسالة لنفسه لا نرى ذكرًا لها في كتب التراجم وهي رسالة «**تهذيب الطريق إلى علم التحقيق**»، وأحال إليها الشارح في «الدرّة النضيدة» في ابتداء شرح الفصل الثاني الذي هو في بحث الجواهر. وعلى هذا الأساس يظهر أنّه كتابٌ في علم الكلام.
- لعن الشارح الفلاسفة في ابتداء الفصل الرابع الذي يدور بحثه في حدوث أو قدم العالم من بينهم ابن سينا والفارابي، وإن كان قد ذكر في مواضع من شرحه هذا آراء الفلاسفة ومن ضمنهم ابن سينا، وهو جدير بالتأمّل.

الهوامش

(١) خلاصة الأقوال: ١١١.

(٢) أجوبة المسائل المهنّائية: ١٥٦.

(٣) معارج الفهم: ٥٨٩.

(٤) منهاج الكرامة: ١٨٨.

(٥) أعيان الشيعة ٩: ١٧٩.

(٦) أعيان الشيعة٩: ١٧٨. وقد سقطت كلمة «أبو» من بداية المطبوع من أعيان الشيعة، فصار اسمه: «محمدحسن» و يبدو أنّه سهو أو خطأ مطبعيّ، فإنّه بعد عدّة سطور ذكر اسمه الكامل مع كلمة«أبو».

(٧) هذا ناشيء ممّا تقدّم من وجود سهو أو خطأ طباعيّ في كتاب أعيان الشيعة، من سقوط كلمة «أبو» من العبارة.

(٨) مع موسوعات رجال الشيعة٢: ٤٧٠.

(٩) الذريعة ١٣: ٥٧، الرقم: ١٨٢.

(١٠) ١فهرس المكتبة الرضويّة ١/ ١٣٢.

(١١) الذريعة ١٥/ ١٦٩، الرقم: ١١١٤.

(١٢) موسوعة طبقات الفقهاء ٩: ٢٨٩ – ٢٩٠. معجم طبقات المتكلمين ٣: ٢٤٩– ٢٥٠.

(١٣) انديشه هاى كلامى علامه حلّى[= النظريات الكلامية للعلامة الحلّي:] لزابينة اشميتكه: ٧٤ و٧٥.

(١٤) رياض العلماء ١: ٣٢٢.

(١٥) أمل الآمل ١/ ١٨٧ – ١٨٨.

(١٦) المصدر نفسه ١/ ١٨٧–١٨٨.

(١٧) فهرس المكتبة الرضوية ١/ ١٣٢، ولاحظ: الذريعة ١٣/ ٥٧.

(١٨) رياض العلماء ١/ ٣٢٢.

(١٩) الحقائق الراهنة: ٥٩.

(٢٠) أعيان الشيعة٩: ١٧٨.

(٢١) رياض العلماء ١: ٣٤٦.

(٢٢) جُنّة الأمان الواقية: ١٨٢، ١٩٩، ٢٠٢، ٧٧٢.

(٢٣) بحار الأنوار٨٢: ٦٦، ٨٣: ١٤٦، ٨٤: ٦٢.

(٢٤) بحار الأنوار ٨٣: ١٦١.

(٢٥) بحار الأنوار ٨٩: ٣٢٩.

(٢٦) الذريعة ١٥: ١٦٩، الرقم: ١١١٤.

(٢٧) فهرس مخطوطات جامعة طهران ٥: ١٩٧٥؛ فنخا ٢٥: ٤٢٧ – ٤٢٨.

(٢٨) النسخة محفوظة فى مكتبة الملك سعود فى جامعة الرياض، وتحمل الرقم: ٣٠١٧.

(٢٩) فهرس مخطوطات المكتبة ١٩: ٢٦٣؛ فنخا ١٨: ٨٤٠. وراجع: تراجم الرجال١: ١٤٦، ١٦٠، ٤٩٧؛ موسوعة طبقات الفقهاء ٨: ٧٦.

المصادر والمراجع

١. أجوبة المسائل المهنّائية، العلّامة الحلّي الحسن بن يوسف (ت ٧٢٦هـ)، قم، مطبعة الخيام، ١٤٠١هـ.

٢. أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين العاملي (ت١٣٧١هـ)، بيروت، دارالتعارف، ١٤٠٣هـ.

٣. أمل الآمل، الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت١١٠٤هـ)، تحقيق احمد الحسيني، بغداد، مكتبة الأندلس، ١٣٨٥هـ.

٤. انديشه هاي كلامي علامه حلي [=النظريات الكلامية للعلامة الحلّي]، زابينه اشميتكه، المشهد الرضوي، مركز التحقيقات الإسلامية، آستان قدس، ١٣٧٨ش.

٥. بحار الأنوار، المجلسي، محمد باقر بن محمدتقي (ت١١١١هـ)، بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٠٣هـ.

٦. تراجم الرجال، السيد أحمد الحسيني، قم، مكتبة آية الله العظمي المرعشي النجفي، ١٤١٤هـ.

٧. جُنّة الأمان الواقية: إبراهيم بن علي الكفعمي (ت ٩٠٥هـ)، قم، دار الرضي، ١٤٠٥هـ.

٨. الحقائق الراهنة في تراجم أعيان المئة الثامنة، الآقا بزرك الطهراني (ت ١٣٨٩هـ)، طهران، جامعة طهران، ١٤١٤هـ.

٩. خلاصة الأقوال، العلّامة الحلّي الحسن بن يوسف (ت ٧٢٦هـ)، تحقيق الشيخ جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٧هـ.

١٠. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، الآقا بزرك الطهراني، (١٣٨٩هـ)، قم، نشر إسماعيليان، ١٤٠٨هـ.

١١. رياض العلماء وحياض الفضلاء: عبدالله بن عيسي بيك الأفندي (ت ١٣٠٠هـ)، تحقيق السيد أحمد الحسيني الإشكوري والسيد محمود المرعشي، قم، مطبعة الخيام، ١٤٠١هـ.

١٢. فهرس مخطوطات المكتبة المرعشية، السيد أحمد الحسيني الإشكوري، قم، مكتبة آية الله العظمي المرعشي النجفي، ١٤١٢هـ.

١٣. فهرس المكتبة الرضوية، السيد علي اردلان جوان، المشهد الرضوي عليه السلام، جامعة الإمام الرضا عليه السلام، ١٤٠٧هـ.

١٤. فهرستكان: مصطفى درايتي، طهران، مكتبة الوطني، ١٤٣٤هـ.

١٥. معارج الفهم، العلّامة الحلّي الحسن بن يوسف (ت ٧٢٦هـ)، تحقيق عبدالحليم الحلي، قم، دليل ما، ١٤٢٨هـ.

١٦. منهاج الكرامة، العلّامة الحلّي الحسن بن يوسف (ت ٧٢٦هـ)، تحقيق الشيخ عبدالرحيم مبارك، المشهد الرضوي، مؤسسة التحقيقات الإسلامية، ١٤٢١هـ.

١٧. مع موسوعات رجال الشيعة، السيد عبدالله شرف الدين (ت١٤٤١هـ)، قم، مؤسسة كتاب شناسي الشيعة، ١٤٣٤هـ.

١٨. موسوعة طبقات الفقهاء: جعفر السبحاني، قم، موسسة الإمام الصادق عليه السلام، ١٤١٨هـ.

١٩. معجم طبقات المتكلمين: جعفر السبحاني، قم، موسسة الإمام الصادق عليه السلام، ١٤٢٤هـ.